المجلة التاريخية الجزائرية | المجلد:3،العدد: 02،ديسمبر 2019. العدد التسلسلي: 12. ص9-23
Issn:2572-0023 | Volume: 3-N: 02, December 2019- S/ N 12. p9-23

البحث الأثري القديم حول المسيحية في المنطقة المغاربية خلال الفترة الكولونيالية

Ancient archaeological research on Christianity in the Maghreb during the colonial period

Pr./ Abdelhamid AMRANE أ.د/عبد الحميد عمران*

University of Mohamed Boudiaf M'sila–جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

amrafis@hotmail.com

History of the article/معلومات المقال		
Published/القبول للنشر	**Accepted/المراجعة**	**Received/الإرسال**
2019/12/30	**2019/09/02**	**2019/07/04**

ملخص:

ركز الباحثزن الأثريون الكولونياليون على التواجد المسيحي في المنطقة المغاربية خلال الفترة القديمة، وذلك بهدف أدلجة البحث التاريخي ومحاولة إظهار العمق التراثي المسيحي للمنطقة، ويعد طولوت أناتول واحدا من القساوسة الفرنسيين الذين استفادوا من وظيفتهم الدينية في رصد الكثير من المواقع الأثرية المسيحية في الشمال الإفريقي خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية معتمدا بالخصوص على رحلاته ومشاهداته واستنتاجاته، وكذا دراسات الأثريين والرحالة والهواة، مما يعطي لأبحاثه طابعا الشمولية والإحصاء بعيدا عن الدراسة والتحليل ولكنها مهمة لكل من له رغبة البحث في التاريخ المسيحي.

كلمات مفتاحية: البحث الأثري المسيحي، شمال إفريقيا، القساوسة، الاستعمار الفرنسي، الرحالة.

Summary:

The colonial archaeological researchers focused on the Christian presence in the Maghreb during the ancient period, with the aim of udging the historical research and trying to show the Christian heritage depth of the region, and Toulotte_Anatole is one of the French priests who benefited from their religious function in monitoring many of the Christian archaeological sites in North Africa during the period French colonialism, especially relying on his travels, observations, and conclusions, as well as studies of archaeologists, travelers, and amateurs ... which gives his researches a comprehensive nature and statistics away from the study and

* المؤلف المرسل: أ.د/ عبد الحميد عمران، الإيميل: **amrafis@hotmail.com**

analysis, but it is important for everyone who has a desire to research in Christian history.

Key words: Christian Archaeological Research , North Africa , Priests , French colonialism. Travelers ..

مقدمة

عرفت الجزائر خلال مسارها التاريخي تعاقب عديد الحضارات منذ عصور ما قبل التاريخ والتي خلفت إرثا حضاريا بقي أغلبه مهملا ودون مساس حتى بدايات الاحتلال الفرنسي الذي صاحبته عديد الأبحاث والدراسات والتنقيبات من قبل مهتمين ودارسين وهواة للبحث في هذا التراث المتنوع .علي غرار ما قام به غابريال كامبس وبالو وجزال وفيفربيه وغيرهم .أحاول رصد أعمال الباحث "طولوت"، في مجال البحث التاريخي للفترة المسيحية الرومانية ومدى مساهمتها في كشف الموروث الحضاري المسيحي. الذي درسته وأيضا مدى استفادة الدارسين والباحثين الجزائريين منه .

يعد "طولوت أناتول Toulotte_Anatole" (1852-1907) أسقفا لأسقفية طاغست في ظل الاحتلال الفرنسي لشمال أفريقيا دفعته وظيفته إلى البحث في التاريخ المسيحي لشمال أفريقيا خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية معتمدا بالخصوص على رحلاته ومشاهداته واستنتاجاته، وكذا دراسات الأثريين والرحالة والهواة... مما يعطي لأبحاثه طابعا الشمولية والإحصاء بعيدا عن الدراسة والتحليل ولكنها مهمة لكل من له رغبة البحث في التاريخ المسيحي خلال هذه الفترة وترك طولوت كتابا تحت عنوان: جغرافية أفريقيا المسيحية Géographie de_l'Afrique_chrétienne والذي نشر مابين سنتي 1892 و1894 عن دار Notre Dame De Près في أربعة أجزاء خصص الجزء الأول لجغرافية أفريقيا المسيحية في البروقنصلية 1892 والثاني لجغرافية أفريقيا المسيحية في الباصاسين والطرابلسية 1894والجزء الثالث لجغرافية أفريقيا المسيحية في نوميديا 1894 والجزء الرابع لجغرافية أفريقيا المسيحية في موريطانيا1894، ويعد هذا الكتاب مهما بالنسبة لدارسي التاريخ المسيحي والكنسي بشمال أفريقيا خلال هذه الفترة. وفي مداخلتي رصد لأهم ما حوته هذه الأجزاء.

1- انتشار النصرانية في مقاطعة "البصاسين" (Byzacéne) (المذاق)

مقاطعة "البصاسين"أنشئت في عهد "دقلديانوس"وذلك في حوالي 297م أظهرت قائمة " فيروني" (Véron) ما بين سنتي 292 و 297 م في أبرشية إفريقيا سبع مقاطعات كنسية وهي البروقنصلية والباصاسين والطرابلسية ونوميديا السيرتية ونوميديا الحدودية وموريتانيا القيصرية وموريطانيا الحدودية، وتحظى هذه المقاطعة بإدارة القنصل، وهي تتموضع ما بين البروقنصلية والطرابلسية وعاصمتها "حدرموت" وتفصلها عنها منطقة "أرزوقس" Arzuges) المأهولة بالسكان المحليين المراقبين من قبل "دوق "على الحدود الطرابلسية [1]، يحدها شمالا البروقنصلية وجنوبا الطرابلسية وغربا نوميديا، أما حدودها الكنسية فهي تتطابق تقريبا مع الحدود الإدارية ولم تذكر تلك المقاطعة الكنسية إلا في سنة 348م في إشارة إلى مجمع كنسي يكون قد عقد بتلك المقاطعة [2].

ذكرت المصادر الأدبية أقدم شهداء تلك المقاطعة بمدينة "حدرموت" (Hadrumetum)-سوسة الحالية- وهو القديس "مافيلوس" (Mavilus) والذي استشهد في 11 ماي 212م وربما كان معه شهيد آخر وهو" ريتيليوس" (Rutilius) [3]. والذي حاول إرشاء جلاديه للتخلص من الموت ورغم ذلك قتل [4].

وتذكر الوثائق الكنسية اسم كنيسة لمنطقة تسمى" بوليكاربي" (Bolycarbe) تابعة لمقاطعة "البصاسين" شارك أسقفها في مجمع 255م بقرطاج، والذي دعا إليه القديس "قبريانوس" لمناقشة مشكلة إعادة تعميد المرتدين [5]، وذكر نصب عثر عليه في"أموديرة" (Ammaedera) العديد من الشهداء ولكن بأسماء غير واضحة [6]. في منذ منتصف القرن الثالث للميلاد تظهر لنا لوائح الأساقفة الحاضرين في مختلف المجتمع الكنسية أسماء مؤسسات دينية مسيحية بمقاطعة البصاسين ومنها "أموديرة" و"قابس" (Gabes) و"ثلبت" (Thelpte) و"أوبنا" (Uppenna) [7].

وتذكر الوثائق مدينة "كانيانا" الواقعة في مقاطعة البصاسين والتي شارك أسقفها في مجمع 393 م ومجمع 411م [8]. شارك أساقفة مقاطعة الباصاسين في مجمع "آرل"314 م بطلب

من الإمبراطور "قسطنطين" في رسالته إلى بروقنصل إفريقيا [9]. وشارك في مجمعي 393م و411م أساقفة من "أورو سليانة" (Auru Suliana) و"مارازانة" (Marazana)بإقليم البصاسين [10]. وبلغت عدد الأبرشيات المشاركة في مجمع قرطاج لسنة 411م من مقاطعة البصاسين ثماني وسبعين (78) أبرشية [11] لتلك المقاطعة القريبة من البروقنصيلية كان معتبرا، وإن لم يعطينا نظرة عن عدد المسيحيين الذي يبقى مجهولا وغير معروف يخضع للتأويل والتقدير ولا يفرق بين الفترتين الرومانية والوندالية.

2- انتشار النصرانية في مقاطعة"الطرابلسية" (Tripolitaine)

مقاطعة "الطرابلسية" يحدها شمالا البحر المتوسط وجنوبا الصحراء وغربا مقاطعة البصاسين وشرقا مصر، أنشئت في عهد "دقلديانوس" في الفترة ما بين 285-305م كمقاطعة إدارية. تتألف "الطرابلسية" من ثلاث مدن رئيسة وهي "لبتيس ماقنا"(Leptis Magna) [12] و"أويا" (Oea) –طرابلس- و"صبراتة" (Sabrata) [13]. أنها المنطقة الأفقر طبيعيا بالمقارنة بالمقاطعات الأفريقية الأخرى مما يقلل من حركة المعمرين بها، وترك الأمر لعسكرة المنطقة خوفا من تمردات السكان أو العمل من أجل استقطابهم، ومن تلك التمردات ثورة سنة 364م والسنوات اللاحقة التي قامت بها قبائل "الأوستيريانس" الطرابلسية (Austuriens) والتي كانت تجاور"أويا" و"لبتيس ماقنا" وقامت بعمليات النهب والحرق [14]، كما لا نعرف شيئا عن الاضطهادات التي يمكن أنها مست تلك المقاطعة [15].

إلا أن القديس قبريانوس" يذكر في التقرير الذي أعده بعد مجمع 258م، أساقفة كل من "صبراتة" و"أويا" و"لبتيس ماقنا" [16]. كما تذكر اللوائح الكنسية أسماء أساقفة المدن الثلاث سنة 255م وهم: -"ديوغا" (Dioga) من "لبتيس ماقنا" و"بومبي" (Pompée) من "صبراتة" و"بريميليان" (Primulien) من مدينة "أويا" [17] وشاركت تلك المقاطعة في مجمع "قبرسوسي" سنة 393م الذي دعا إليه "ماكسيميانوس" لتحريم الجناح البريمنياني [18]. الدوناتي ويبقى الغموض يلف التاريخ المسيحي أكثر في تلك المقاطعة، نظرا لندرة المصادر أو إتلافها بعوامل متعددة، وارتباط تلك المقاطعة بالبروقنصلية ثم بالبصاسين مما يجعل الوثائق لا تتكلم عن

الطرابلسية إلا داخل المقاطعتين المذكورتين. وهذا يعني أن المسيحية لم تتغلغل في تلك المناطق التي بقيت على وثنيتها نظرا لبعدها عن التأثيرات الرومانية المسيحية القوية، وأحصت "تولوت" عدد أساقفة الطرابلسية بثمانية عشر (18) أسقفا ما بين سنتي 255 و411م [19] .وبذلك فتلك المقاطعة هي أقل المقاطعات الأفريقية التي انتشرت فيها المسيحية واقلها مشاركة نظرا لقلة عدد السكان المستقرين من جهة وبقائهم على وثنيتهم وقلة عدد المعمرين الرومان كذا الحاميات العسكرية الرومانية مقارنة بباقي المناطق الأفريقية الأخرى.

3- انتشار النصرانية في مقاطعة نوميديا (Numidae)

تعد نوميديا من أهم المقاطعات في إفريقيا الرومانية فهي من أكثرها زراعة وغنى وتحتوي على عديد المدن الكبرى المنتشرة من السهول العليا إلى شمال الأوراس، بل حتى المناطق الجبلية تتمركز بها مدن، وتكون تلك المقاطعة قد بدأت تتخلص تدريجيا من حالة ترحل سكانها واستقرارهم أكثر نظرا لسياسة الرومنة [20]. حاولت روما أحكام سيطرتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، من أجل رومنة كل شيء وجعله وبدأت في نشر اللغة اللاتينية في صفوف الجيش والفرق المساعدة والمدارس والتجار والعبيد، والجماعات الفلاحية في المدن الكبرى مثل "سيرتا" وقرطاج و"مادور"(Madaure) وغيرها من المناطق ذات النشاط، وكان من نتيجة ذلك أن ازداد عدد المتكلمين بتلك اللغة، بل ظهر مبدعون بلسانها من أمثال الأديبين "فرونتون السيرتي"(Fronton) و"أبوليوس المدوري" (Apulée)، وأصبحت نوميديا تعرف بالأرض الولودة للمحامين [21]. ويعتقد بأن اللغة اللاتينية ظلت حبيسة في تلك المناطق المتصلة أكثر بالرومان، في حين أن المناطق البعيدة لم تكن تتعامل بها لعدم الحاجة إليها.

ولم تتخلف تلك المقاطعة عن اعتناق المسيحية، إذ ساهمت بشهدائها أثناء حكم الإمبراطور "كومودوس"، واضطهادات سنة180م، ويذكر "ماكسيم المدوري"(Maxime de Madaure) في رسالة وجهها إلى القديس أوغسطين اسم عبد مات شهيدا مع بداية القرن الثالث للميلاد في" مادور" يسمى "نامفامو" مع مجموعة أخرى من الشهداء، والذين تحولت قبورهم إلى مزارات [22].

وتورد مصادر نلك الفترة مجموعة من الأبرشيات في نوميديا والتي تأسست في محيط مدينة "سيرتا" على الوادي الكبير كأبرشيتي "سيرتا " و"ميلاف"(Milev) و"كويكول (Cuiculium) –جميلة– وفي حوض سيبوس، وفي "وادي المالق" بتيفست، بل امتدت إلى المناطق النوميدية الجنوبية حيث وجدت سبع أبرشيات في محيط لمبيزي و"ماسكولا" (Mascula) و"ثيموقادي" (Thamugadi) و"لماصبا" (Lamasba) و"طبنة" و"بادياس "[23](Badias) [24]، وهذا في منتصف القرن الثالث للميلاد وسجلت الوثائق أسماء لشهداء مثل "نيفاليس"(Nivais) و"ماترونا" (Matrona) و"سالفوس" (Salvus) من "كالاما" (Calama) و"دينا" (Digna) من "روسيكادا" و"كريسبينا" (Crispina) في تيفست [25].

ووجدت في محيط "هيبون" العديد من الأبرشيات والمصليات، التي بقيت أثارها قائمة وترجع إلى عهد القديس "أوغسطين"، مثل أبرشية القديس "إيتيان"(St.Etienne) وأبرشية "ليونتيانا" (Leontiana) والأبرشية الدوناتية وأبرشية "الشهداء الثمانية" ومصلية "العشرين شهيدا" وأبرشية القديس "ثيوجان"(Théogene)، وأيضا أبرشية القديس "جيرفيي" (Gervais) و"بروتي" (Protais) وبازليكا الدوارين [26].

وتلك المؤسسات الدينية الكثيرة مردها، لأن حركة الكنائس ارتبطت بأمرين هما الوجود الروماني الكثيف بتلك المنطقة وخلال تلك الفترة، وخصوصا بعدما تنصرت السلطة الزمنية واعتبار المسيحية كديانة رسمية منذ عهد الإمبراطور "قسطنطين"، ونظرا للكثافة السكانية العالية من المعمرين في تلك المنطقة الخصيبة.

الأمر نفسه نجده في مجمع قرطاج المنعقد في سنة 411م لإعادة الوحدة الكنسية، والذي حضره 270 أسقفا من الجناح الدوناتي [27]. دون الأساقفة الكاثوليك ومن نوميديا حضر ممثل عن مائة وسبع (107) أبرشية وحملت القائمة أسماء المشاركين في هذا المجمع من نوميديا مثل "أوبطا" (Optat) من "فسكرا" و"فيكتور"(Victor) من "شولو" (Chollo) و"أفيت"(Avit) من "لماصبا" و"ليكروس"(Licrus) من "ناقراو ماجوريس" (Nigrae

(Majores وغيرهم، ممثلين للأبرشيات نوميدية متعددة كباغاي و"الديار السود" و" روسيكادا" [28].

ويلاحظ حسب الخريطة المسيحية في نوميديا، أن تلك الديانة تركزت أكثر في المناطق الساحلية حيث ظهرت تجمعات مسيحية في "هيبون" و"روسيكادا" و"شولو" وامتدت إلى الداخل كميلاف و"سيرتا" و"تيفست" و"ماسكيلا" و"كالاما" و"تاغاست" وغيرها [29]. وفي المنطقة الأوراسية كثيموقادي و"مينا" (Mina) و"لمبيزي" و"تيبيليس"(Thubilis) وغيرها من المناطق [30].

4- انتشار النصرانية في موريتانيا السطيفية

نذكر أسقفية "سريموسا"(Caramussa) والتي تتشابه مع "سدميسا" (Cedamussa) و"تاناراميسا" (Tanaramussa)، فالأولى يعتقد وجودها بين "شولو" (Collo) و"ميلاف" والأخيرتين يعتقد بأنها مدينتين أسقفيتين في موريطانيا السطيفية أو القيصرية، وتذكر المصادر بأنه بالقرب من الأولى توجد مناجم وهو نفس الآمر بالنسبة للمدينتين الأخيرتين [31]. مما يطرح إشكالية التحديد بعمق.

واكتشفت العديد من الأنصاب المسيحية تعود إلى القرنين الثالث والرابع للميلاد في أماكن متعددة ومنها موريتانيا السطيفية التي عثر بها على العديد من الآثار المسيحية مثل "عين ترك" (Ain turk) بمنطقة سطيف التي وجدت بها آثار أبرشية، و"ببيار أولاد عثمان" ناحية سطيف حيث وجدت آثار أبرشية أيضا [32]. وعثر على نقيشة تعود إلى سنة 359م بمنطقة "تكستير" (Tixtir) غرب سطيف، تذكر العديد من الشهداء خلال تلك

الفترة، والذين استشهدوا بالبروقنصلية ونوميديا [33]. وذلك كنوع من التقديس لهم [34]، وتعدى ذلك إلى حد تقديسهم والتبرك بهم، ويظهر ذلك في نقيشة مؤرخة في سنة 359م، وجدت في قبر بالقرب من "ستيفيس" تحمل تقديسا للقديس "قريانوس" [35] الذي كان قد استشهد قبل سنة من تاريخها، مما يظهر علاقة المسيحيين ببعضهم البعض في أنحاء بلاد المغرب القديم، وتضامنهم مع بعضهم البعض.

وإلى الشرق من موريتانيا السطيفية وعلى حدود نوميديا وجدت مدينة أسقفية تسمى "مورنس" (Mons) [36]. وإلى الغرب من مدينة سطيف عثر على نقشية تعود إلى سنة 362م تذكر شهيدين قتلا بأمر من الحاكم "ماكسينيان" (Maxinian) وهما من أصل محلي [37]، وإلى الجنوب من السطيفية وجدت بقايا كنيسة "بزابى" (Zabi) بشيلقة (المسيلة) وتضم مركزا لأسقفية "زابي" (Zabi) و"ماكري" (Macri) (مقرة) و"آراس" (Aras) (تارمونت) ومن أهم أساقفتها "فيلكس"(Filix) الذي يعتقد أنه كان دوناتيا، كما توجد إلى الغرب من مدينة المسيلة بحوالي 25 كلم وفي موقع "خربة الرصاص" بقايا أبرشية رومانية، وفي الحضنة جدت آثار كنيسة بمنطقة "تيمدوت"(Timedout) [38] .

كما كانت توجد أبرشية في منطقة "المعاضيد" حيث أقيمت القلعة الحمادية، ولكنها تعرضت لهجوم من قبل أسقف "زابي" الدوناتي "فيليكس" والذي قاد مع زميله الأسقف "جورانيوس دي تلاسين" (Jennarius Detlacin) حملة لضرب المؤسسات الدينية الكاثوليكية في المنطقة [39].

وشرقا حملت نقيشة يعود تاريخها إلى 10 سبتمبر 255م بـ "طبيناو"(Tubunae) (طبنة) اسم القديس"ميميسان"(Mémésien) مع القديس" قبريانوس" وآخرين من روما ومن إفريقيا [40]، والملاحظ أن تلك المقاطعة غنية بآثار الكنائس مثل "بير الجديد" (Bir Djedid) إلى جنوب الشرقي و"خربة بوعدوفن" (Bou Addoufen) و"خربة الفرايم" (Fraim) التي احتوت على بقايا كنيسة كبيرة وأيضا منطقة "الحميات" (El Hamiat) و"المحراب" وغيرها من آثار الكنائس [41]. ووجدت نقشية بسطيف كاثوليكية ترجع إلى القرن الرابع للميلاد بالعبارة التالية: (**Natale Domini Gristi VIII Kalenbas Iannarias**) [42].

وظهرت بعض التجمعات المسيحية في موريطانيا السطيفية، وحملت النقوش أسماء بعض الشهداء المحليين في "ستيفيس"، والمناطق المجاورة مثل "ساتافيس"(Satafis)–عين الكبيرة الحالية– التي حملت نقوشا مؤرخة [43] في 202م و"سرتي" (Sertei) (خربة قويدره) 211م "ستيفيس" في 214م [44] ونقيشة أخرى بقلال جنوبا.

5- انتشار النصرانية في موريطانيا القيصرية

بعد سنة 40م أصبحت موريطانيا (Maurétanie) هي الجزء الأخير من أفريقيا الذي خضع للاحتلال الروماني سنة 40 م في عهد الإمبراطور "كاليغولا" (Caligulla)، والذي جعل منها إقليما رومانيا وقسمه بعد ذلك إلى إقليمين: موريطانيا القيصرية والطنجية، وتمتد مقاطعة موريطانيا بأقسامها من نهر "لماسجا" (Lamasga) . الوادي الكبير، والحضنة شرقا حتى المحيط الأطلسي، وبقي الإقليم كذلك حتى قيام الإمبراطور ماكسيميان (Maximian) بإخضاع قبائل الحلف الخماسي سنة 290 م، وأعاد تقسيم موريطانيا إلى قسمين القيصرية والسطيفية أما الطنجية فألحقت بمقاطعة "اسبانيا "في إطار إعادة التنظيم التي باشرها الإمبراطور "دقلديانوس" [45].

وبدأت روما تتوغل في موريطانيا القيصرية بعد احتلال شمالها، وسيطرتها على المناطق الخصبة التي ألحقتها نهائيا بروما، وخوفا من هجمات سكان المناطق المجاورة.

وأقامت خط الليمس في موريطانيا في عهد الإمبراطور "سيبتيموس سيفيروس" ما بين سنتي 198 و201م، والذي ركز العديد من الفرق العسكرية بقيصرية "شرشال" [46].

وتحالفت القبائل مع بعضها في إطار ما يعرف بالحلف الخماسي [47] ومع قبائل أخرى مثل"البوار" (Bavars) والتي تتواجد بأوزيا وبمناطق أخرى من موريطانيا وتحكمها حدود إدارية لأنها قبائل رحل [48].

وعليه كان الجبلي والأفريقي يرفع عناده ضد المحتلين، وتجلى ذلك بأكثر قوّة في موريطانيا وفي نوميديا، منه في البروقنصلية، بدليل أن هؤلاء الرافضين قد ثاروا في منطقة موريطانيا القيصرية بعد قرن من الاحتلال [49].

فضلا عن ذلك نجد أن المعلومات المتعلقة ببداية الانتشار المسيحي بتلك المقاطعة يسودها الكثير من الغموض، نظرا لقلة الوثائق وتناقضها في الكثير من المرات، فمثلا تذكر لنا الوثائق اسم أحد أساقفة مدينة مجاورة للقيصرية باسم "فورتوناتوس" (Fortunatus) وتذكره في أخرى باسم "إفيلبيوس" (Evelpius) [50].

ولا شك أن تلك النقوش تبين الانتشار المسيحي الذي وصل إلى تلك تعد "تيبازة" غنية بالأبرشيات المدنية والأبرشيات المقدسة [51]. الموجودة بالمقابر كما توجد بها كنيستين، وأخرى مكرسة للقديسة "سالصا" والتي بنيت على شرفها وأقيمت على معبد يهودي قديم، والذي أقيم بدوره على معبد وثني [52].

وكنيسة "تيبازة" [53]، كانت قائمة في عهد الإمبراطور "جوليان المرتد" في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد [54]، وتوجد على تلة في الجزء الغربي للمدينة تحتوي على تسعة صحون وبها أفنية مستقلة [55]. ومن أبرشيات تيبازة نجد أبرشية الأسقف "الاسكندر" وتقع في المقبرة الغربية لتيبازة، وتوجد بمقبرة أيضا أبرشية بالجزء الغربي للمدينة بطول 9.50 متر وعرض 4.90 متر [56].

وفي "تقزيرت" [57] توجد الكثير من المعالم المسيحية ومنها كنيستين [58]، وأبرشية مزودة بقناة مائية بطول 15 متر ومعمودية تعود إلى بدايات المسيحية ومزودة بقناة مائية [59]، وغير بعيد عن تيقزيرت يوجد موقع أخر وهو موقع "روسوكوري"(Rusuccuru) والذي يحتوي أيضا على آثار مسيحية ومنها كنيسة كبيرة بطول 38 متر وعرض 18 متر [60]، وأبرشية بالجزء الجنوبي وربما كانت كنيسة مهمة، وهي ذات شكل منحرف بطول 25 متر وعرض 13 بالإضافة إلى العديد من القبور المسيحية [61]. أما موقع "تاكسبت" فيحتوي على آثار أبرشية بطول 10 أمتار وعرض 8 أمتار [62]. وغربا تتكرر اسم أبرشية الأسقف "اسكندر "ب "كاستيلوم تينجيتانوم" – الشلف- كواحدة من أهم الأبرشيات في المنطقة، وقد يكون هذا الأسقف هو أول من أدار أسقفية " تيبازة" [63].

6 – انتشار النصرانية في موريطانيا الطنجية

إن معلوماتنا حول تاريخ المسيحية في موريطانيا الطنجية نادرة نظرا لقلة المصادر وعدم ذكرها لتاريخ المسيحية بتلك المنطقة التي ألحقت بمقاطعة اسبانيا منذ سنة 297 م وحتى430م ولم تتكلم المجامع الكنسية على أساقفة تلك المنطقة [64]. وأقدم ذكر للمساهمة "طنجي" (Tingi) في التاريخ المسيحي يعود إلى شهداء أثناء اضطهادات "دقلديانوس" وهما "مارسيلوس"

(Marcellus) قائد المائة و"كاسيانوس" (Cassianus) كاتب بالمحكمة وهما من الحاميات العسكرية الرومانية ولا ينتسبان إلى جماعة مسيحية أهلية [65]، وتحوم شكوك حول انتساب هذين الشهيدين، يذهب الكاتب "ر. توفنو" (R.Thouvenot) إلى أن الشهيد " مارسيلوس" من أصل اسباني وأن الظروف هي التي ساقته لكي يستشهد بطنجي في حين أن الثاني من "طنجي" [66].

وينفي " تولوت "وجود أي أسقف لطنجي أبان الفترة الرومانية، رغم وجود أثار يحتمل أنها لكنيسة في "طنجي" [67] التي كانت تابعة لدوقية اسبانيا منذ عهد الإمبراطور" دقلدياوس" [68] ورغم أنه عثر على العديد من شواهد القبور، بنواحي المدينة وتتكون من ثلاثة نصوص [69]، وتم تأريخ اثنين منها بالقرن الرابع للميلاد [70]. وعثر على آثار لبناية بموقع "ليكسوس" ذهب الاعتقاد إلى أنها كنيسة ويمكن أن تؤرخ بين القرنين الثالث والسابع للميلاد [71] في حين أن "توفنو" يعتقد بأنها تعود إلى نهاية القرن الرابع للميلاد [72].

ويذكر "تولوت" اسم أربع كنائس بموريطانيا الطنجية وهي:"طنجيس"(Tngis) و"فاس"(Fez) و"مروك" (Maroc) و"سبتة" (Sebta) إن الحديث عن قوة انتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم يعود إلى الفترة التي أعقبت عصر الاضطهاد الدقاديانوسي، وخاصة بعد تنصر السلطة مع بداية القرن الرابع الذي عرف تكثيفا لبناء الأسقفيات والملاحظ أن تطور تلك الديانة كانت أكثر في نوميديا وموريطانيا السطيفية، وعرفت اضطهادات في القرى الرومانية ولم يتم تسجيل ذلك في مناطق الأهالي وظلت القبائل الأهلية على وثنيتها، أما المترومنون وبعض سكان المدن فوجد منهم مسيحيون إما القبائل التي لم تحتك بالرومان فلم تتدين بغير الوثنية [73].

ومن خلال بحثنا في تلك المنطقة نجد بأن المسيحية بموريطانيا الطنجية ظلت قليلة الانتشار وأن تاريخها يكتنفه الكثير من الغموض في غياب مصادر نقوشية ونصوص واضحة، وأن كل ما عثر عليه إنما يخضع لفكرة التأويل من طرف الباحثين الأوربيين الذين كان لهم السبق في الاتصال بتلك المصادر وقراءة بعضهم لها قراءة مزاجية –حسب رأينا– وأن هناك خلط بين الفترة الرومانية والفترات اللاحقة حول تاريخ تلك الديانة.

الخاتمة:

ركز الباحثزن الأثريون الكولونياليون على التواجد المسيحي في المنطقة المغاربية خلال الفترة القديمة، وذلك بهدف أدلجة البحث التاريخي ومحاولة إظهار العمق التراثي المسيحي للمنطقة، ويعد طولوت أناتول واحدا من القساوسة الفرنسيين الذين استفادوا من وظيفتهم الدينية في رصد الكثير من المواقع الأثرية المسيحية في الشمال الإفريقي بهدف تبيان مسيحية المنطقة اعتمادا على ملاحظاته ورحلاته في المنطقة، واعتمادا على الدراسات السابقة وكتب الرحالة والهواة والقساوسة. وإن عد ما كتبه القس طولوت مهما في التاريخ الأثري المسيحي إلا أنه يؤخذ بعين الحذر للدارسين المتخصصين في ظل ذهاب الكثير من المعالم التي تعرضت للنهب والطمي والنسيان.

الهوامش:

1- Toulotte (A.), géographie de l’Afrique chrétienne (Proconsulaire) ,imprimerie Notre-Dame des Prés, Paris,1894 pp.41-43.

2– Mesnage (J.) ,l’Afrique Chrétienne évêchés et ruines antiques, éditeur, Ernest Leroux, Paris, 1912.pp.517-518.

3- Id, le Christianisme en Afrique (L'origine développement et extension), Alger – Paris ,1914, p.93.

4- Monceaux (P.),H .L.A.C. ,T.II , Saint Cyprien et ses temps),éd.,Ernest Leroux ,Paris,1902. p.46.

5- Toulotte(A.),géographie de l’Afrique chrétienne (Byzacène et Tripolitaine),imprimerie Notre-Dame des Prés, Paris,1894,p.28.

6- LEBRETON (J.), histoire de l’église,T,2(de la fin du II° siècle à la paix Constantienne, Bloud et Gay, Paris,1948,p.467.

7- Mesnage (J.), le Christianisme en Afrique ,,, p.123 .

8- Toulotte (A.),Byzacène et Tripolitaine,,,p.70.

9- Id, géographie de l’Afrique chrétienne (Proconsulaire), Notre-Dame des Prés, Paris,1892 , p.56

10- Id,(Byzacène et Tripolitaine),,, p.58.

11- LANCEL (S.), Actes de la conférence de Carthage en 411,T,1, Paris,1972, pp.183-185.

12- لبتيس ماقنا" أسسها الفنيقيون وكان لها علاقات تجارية مع مدن الغرب، وهي تقع ما بين السيرتين بالقرب من وادي "سينيف" (Cinyphe)، تمركزت بناحيتها قوة عسكرية بقيادة ضابط مكلف بمراقبة الحدود من هجمات السكان جمّلها الإمبراطور "جوستينيان" بعد احتلالها للمزيد ينظر،

Toullotte (A.) ,Byzacéne et Tripolitaine,,,pp.252-253.
13- Ibid, p.11.
14- Cagnat René, l’armée romaine d’Afrique et l’occupation militaire de l’Afrique sous les empereurs, imprimerie Nationale, E. Leroux , Paris , 1913, pp.76-77.
15- Moncaeux (P.), H.L.A.C.T.III,(le III ° siècle d’Arnobe a Victorin),éd., Ernest Leroux , Paris, 1905. ,p.35.
16- محمد مصطفى بازامه، "المسيحية في ليبيا"، مجلة الفصول الأربعة، العدد، 4، تصدر عن اتحاد الأدباء والكتاب الليبيين، طرابلس، 1978. ص ص. 32-33.
17- Toullotte (A.) ,Byzacéne et Tripolitaine,,, p.303.
18- Ibid, p.57.
19- Ibid, pp.303-304.
20- Gautier (E.F.),le passé de l’Afrique du Nord ,Payot, Paris , 1942,pp, 257-258.
21- Albertini Eugène, l’Afrique romaine, imprimerie officielle , Alger ,1950, pp. 95-98.
22- Augustin (St.), lettre, XVI,2.
23-"بادياس" اسم لموقع على الطريق ما بين "تيفست" و"لمبيزي" إلى الجنوب من الأوراس وفي الصحراء، كان مركزا عسكريا لحراسة الحدود الجنوبية، ولا يبتعد كثيرا عن زريبة الواد الحالة بولاية بسكرة، للمزيد ينظر،
-Toulotte Anatole, géographie de l’Afrique chrétienne (Numidie), Typographie Oberthur, Paris, 1894, pp.52-53.
24- Mesnage (J.), le christianisme en Afrique,,,p.110.
25- Lebertron(J) et Zeller (J.), histoire de l’église,T,2(de la fin du II° siècle à la paix Constantienne, Bloud et Gay, Paris,1948,p,467.
26- Gsell (S.) , les monuments antiques de l’Algérie, T.,2,éd., Albert Fontomoing ,Paris , 1901, pp.213-214.
27- Augustin (St.), lettres, XLIII,X,43.
28- Toulette(A.),(Numidie),,,pp.355-360.
29- Monceaux (P),H.L.A.C.,T,III, p.6.
30- Toulette(A.),(Numidie),,,pp.6-7;21.
31- Ibid ,p.113.
32- Gsell (S.) , op-cit, pp.162;171;181.
33- Monceaux(P.) ,H.L.A.C.,T.,1,p.131.
34- Toulotte(A.),(Numidie),,,p.131.
35- Monceaux(P.) ,H.L.A.C.,T.,1,p.131.
36- Toulotte(A.),(Numidie),,,p,131.

37- Monceaux(P) ,H.L.A.C.,T.,III,(le III ° siècle d'Arnobe a Victorin),éd., Ernest Leroux , Paris, 1905, p.113.
38- Gsell (S.) , op-cit., p.308.
39- Robert Achille, « Antiquité de la commune Mixte de Maadid », R.S.A.C.,N°35 ,1903,p,66.
40- Toulotte(A.),(Numidie),,,p.320.
41- Gsell (S.) , op-cit., pp.181-231.
42- Monceaux(P.) ,H.L.A.C.,T.,IV, p.458.
43- Id ,H.L.A.C.,T.,III,p.6.
44- Février Paul-Albert, « Aux Origines de Christianisme en Maurétanie Césarienne »,in M.E.F.R.A ., T ,98 , N°,2,1986.p.769.
45- Toullotte(A.) la Maurétanie,,,pp.7-10.
46- شرشال "أيول" القيصرية (Caesarea)يحتمل أن اسمها يعود إلى الفينيقيين، إذ تم العثور فيها على العديد من المعالم والنقوش البونيقية، وكانت تدفع الجزية لقرطاج، كما حوت على نقوش وقبور يحتمل أنها بونيقية، وكانت عاصمة الملك الموري "يوبا" ثم أعطاها " القيصر أوغست" اسمه لتتسمى بالقيصرية ، للمزيد ينظر،

-Gsell (S.), Fouilles de Gouraya (sépultures puniques de la côte algérienne),Editeur Ernest Leroux , Paris, 1903, pp.49-50 ; Toulotte (A.) la Maurétanie,,,pp.23,24.
47- قبائل الحلف الخماسي ((Quinquegentanei وهي اتحاد لخمس قبائل تتمركز ما بين بجاية و دلس أي ما بين جرجرة ولساحل، وتتألف من القبائل التالية:"الماسينيسنس" (Masinissenses)وقبيلة "التيندنسس" (Tyndenses) وقبيلة "إيسافلنسس" (Isaflenses) وقبيلة "جيبالني" (jubaleni)وأخيرا قبيلة "جيسالنسس" (Jesalenses)وهي قبائل رعوية متنقلة شكلت تهديدا مستمرا للاحتلال الروماني للمزيد من المعلومات ينظر ،

d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les -Cagnat(R.), l'armée romaine
empereurs , imprimerie Nationale, E. Leroux , Paris , 1913.,p.62-63
48- Toulotte(A.), Numidie,,,p.51.
49-Courtois(Ch.),les Vandales…p. 124.
50- Février Paul-Albert, op-cit.p.793.
51-Heurgon Jacques ,Nouvelles recherches a Tipaza ville de la Maurétanie Césarienne, in M,A,N, T .7 ,1930 , p.93.
52- Gsell (S.), les monuments, T,II, pp.113-121.
53- **تعتبر** كنيسة "تيبازة" الأكبر في أفريقيا بطول52 متر وعرض47 متر، وهي مقسمة إلى سبعة صحون وبها صفين من الأعمدة ويحيط بالكنيسة سور خارجي مربع، وسلم لصيق بالجدار وصالتين ما بين الأعمدة الحاملة للسلم وبها معمودية، وتجاورها مجموعة من الفيلات المنعزلة للمزيد ينظر،

-Lassus Jean, «Autour des basiliques chrétiennes de Tipasa ». In: Mélanges d'archéologie et d'histoire , T.47, 1930 .pp .222-232.
54- Optat , II,19.
55- Gsell(S.), ,« Fouilles de Bénian (Alamiliaria)», publiées sous les auspices de l'Association historique pour l'étude de l'Afrique du Nord .éd., Ernest Leroux, Paris, 1899, p.17.
56- Id, les monuments, T.2,, pp.334-337.
57- تيقزيرت (Tigzirt)، آثار لمدينة تحتوي على الكثير من المعالم اغلبها يعود إلى الفترة المسيحية التي تتركز في الجزء الغربي باتجاه "رأس تدلس" (Cap Tedles) تبتعد ب 28 كلم عن دلس شرقا، و من موقع "تاكسبت (Takasebt)، للمزيد ينظر.

-Toulotte(A),la Maurétanie,,, p .94-134.
58- Gsell(S.), les monuments, T,II, pp.113.
59- Pierre GAVAULT, les ruines roumaines , éd., Ernest Leroux, Paris,1897,pp.86-89.
60- Gsell (S.), les monuments, T,II, pp.262.
61- Pierre GAVAULT , les ruines roumaines , éd., Ernest Leroux, Paris,1897., pp.97-103.
62- Gsell (S.), les monuments, T,II, p.263.
63- Toulotte(A),(la Maurétanie),,,p.168.
64- Mesnage (J.) ,L'Afrique chrétienne, , 1912,pp. 9-10.
65- Id, le Christianisme en Afrique ,,, p.130.
66- Thouvenot (R.), Les origines chrétiennes en Maurétanie tingitaine, R.E.A,T,71, 1969, p.360.
67- Euzennat(M.) , édifices chrétiens en Maurétanie Tingitaine ,A.AF, T,8 , 1974, pp.187-190.
68- Toulotte(A.) la Maurétanie,,,p.6.
69- جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، تر.، محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2008، ص.424.

70- Thouvenot (R.), Les origines chrétiennes en Maurétanie tingitaine, R.E.A,T,71, 1969,p.366.
71- Euzennat(M.) édifices chrétiens en Maurétanie Tingitaine,A.AF, T,8 ,1974 , p.179.
72- Thouvenot (R),op-cit,p.368.
73- Dominique Arnauld, Histoire du Christianisme en Afrique , les sept (7) premiers siècles, éd.,Kantada , Paris, 1996,p.86